الفصل الرابع

التعليم والبناء الفكري والمفاهيمي

obeikandl.com

obeikandl.com

التعليم والبناء الفكري والمفاهيمي

تقوم ثقافة أي مجتمع بدور بارز في عملية البناء الفكري والمفاهيمي عند أفراده، ومع أنني لا أعرف ثقافة تثبط المجتمع عن التطوير والتقدم لكن بعض المفاهيم أو العناصر الفرعية النابعة من حلقة الخصوصيات التي تتبناها بعض شرائح أو فئات المجتمع قد لا تساعد على البحث والتجديد فضلاً عن التغيير الذي تم الحديث عنه في الفصل السابق، وهذا الوضع المحافظ يوجد في معظم ثقافات العالم إن لم يكن جميعها، وبما أن المعرفة أحد أهم المصادر التي تؤثر وتتأثر بعمليات التفكير من حيث تطويرها ونموها وكذلك الاستفادة منها فإن الفكر الإنساني في الوقت نفسه هو المحرك الأساس للبناء والتطوير المعرفي حتى أصبح الفكر والمعرفة مفهومين متلازمين من حيث أهمية كل واحد منهما للآخر، ويتعامل الفكر ووسائله مع المعرفة وفق أساليب متنوعة تعمل على تطوير المعرفة والاستفادة منها عندما يتم استخدامها بصورة جيدة وفق أسس علمية وأساليب تفكير عملية تخدم المجتمع وتعمل على تقدمه وتطويره.

وقد نزل القرآن الكريم كمصدر تشريع ومعرفة وعلم وتقدم وتفكير وأتت السنة النبوية المطهرة متضمنة نصوصاً شرعية تدعم العلم والمعرفة والفهم والتطبيق حتى أصبح الدين الإسلامي مصدر العلم والمعرفة وبناء النظام الإسلامي السياسي والاجتماعي والاقتصادي وتكونت الثقافة الإسلامية من خلال القيم الإسلامية التي تعزز بناء المجتمع المتكامل والمثالي في سلوكه وتعامله مع أفراد مجتمعه ومع المجتمعات الأخرى وتحث على العلم والتعلم والبحث والتفكير والاجتهاد والقياس.

وقد تنوعت أساليب التفكير والتعامل مع المعرفة من حيث اكتشافها أو تطويرها أو استخدامها، وتعددت الفرضيات والنظريات والفلسفات والمنهجيات عبر التاريخ والحضارات المتتالية، وتعاملت كل ثقافة مع العلم وأساليبه وأنماط التفكير والأبعاد المفاهيمية بوسائل مختلفة انعكست بطبيعة الحال على تلك المجتمعات من حيث تقدمها وتطورها وسيادتها والفترة الزمنية التي عاشتها، وقد كانت مصادر المعلومات في السابق محدودة جداً قياساً بالوقت الحاضر الذي تنوعت فيه هذه المصادر، حيث كانت المعرفة محدودة ولكن الإنسان تعامل مع مجريات الحياة حسب ما تساعده هذه المعرفة وتطبيقاتها من خلال قدرة الإنسان على التفكير في الاستفادة منها، وقد عاشت الحضارات السابقة بفضل ما وصلت إليه من معرفة قدراً جيداً من التقدم والتطور في مختلف أرجاء الأرض.

وتنقسم المعرفة إلى عدة أنواع:

أولاً: ما نزل به الوحي من الله سبحانه وتعالى على رسله في الكتب السماوية وأعظمها القرآن الكريم، وقد ورد فيه من القصص لأقوام وحضارات سابقة ما يثير التفكير والتأمل في التجارب التي مرت بها هذه الأقوام والحضارات حتى أصبحت أثراً بعد عين، وكذلك ما وثقته كتب التراث القديمة وما يزال من أثارٍ لتلك الحضارات مثل الحضارة الصينية والفرعونية وغيرها، حيث تعد مرجعاً كبيراً يؤصل وجود تلك الحضارات وتداخل واستفادة بعضها من بعض، فالإنسان بما منحه الله سبحانه وتعالى من قدرة على التفكير يتطور من حيث انتهى من قبله والاستفادة من المعرفة السابقة والعمل على تطويرها، فالمعرفة التي نعيشها في عصرنا الحاضر لم تنشأ منذ عهد قريب بل نتيجة تراكمات معرفية منذ زمن قديم ساعدت عمليات التطوير والتفكير والبحث على التقدم والتطوير المستمر حتى هذه اللحظة.

ثانياً: المعرفة التقليدية، وهي المعرفة التي يكتسبها أفراد المجتمع من خلال الموروث الاجتماعي أو الأعراف والتقاليد، وهي معرفة لا تعتمد على أسس علمية

أو اكتشافات ودراسات لكنها مصدر معرفة عند المجتمع ويعتمد عليها كأحد مصادر المعرفة، ويدخل فيها القصص الأسطورية وبعض الخرافات التي يؤمن بها المجتمع، وهذا النوع من المعرفة لا يمكن تجاهله لتأثيره الكبير على أفراد المجتمع وثقافته حتى أن الطبقة المتعلمة تعتمد على هذا النوع من المعرفة كأحد المصادر وتؤثر بصفة مباشرة أو غير مباشرة في عادات وتقاليد المجتمع وتتبلور هذه المعرفة لتكوّن العديد من القيم التي تعتمد عليها الثقافة، وتطرح بعض الأدبيات عدة آراء حول هذا النوع من المعرفة منها: إن هذه المعرفة ليس لها أصول علمية ولكن المجتمع تبناها ضمن مصادره المعرفية وأصبحت بحكم الوقت وتوارث الأجيال أحد المصادر المهمة للمجتمع وثقافته، وتتعدى هذه المعرفة مجتمعها الأم إلى ثقافات ومجتمعات أخرى، وتعمل على التوسع والانتشار حسب قوة تأثير هذا النوع من المعرفة ومدى تقبل الناس لها، ومن الأمثلة البسيطة على هذا النوع من المعرفة اعتقاد الناس في أهمية أو تأثير بعض أنواع الأغذية على صحة الإنسان (تأثير شرب الحليب مع أكل السمك)، قراءة بعض الكتب أو العبارات التي يعتقد الناس في فائدتها، العلاج الشعبي وما يستخدمه الناس من أعشاب ومواد يعتقدون في فائدتها أو ضررها، وغيرها من الموروث الكبير الذي تعوّد الناس على ممارسته بغض النظر عن فائدته أو أهميته أو ضرره.

ثالثاً: المعرفة العلمية التجريبية التي تقوم على العلم والبحث والاكتشاف والملاحظة والتطبيق، وهذا النوع من المعرفة يملك التأثير الكبير على المجتمع من حيث تطوره الفكري والعلمي والثقافي، وينتج عنه التأثير الكبير على ثقافات المجتمعات الأخرى وهيمنة هذه الثقافات وظهور الحضارات من الماضي حتى الوقت الحاضر.

أما النوع الأول من مصادر المعرفة المشار إليه سابقاً فيمتلك التأثير الكبير والواضح حيث قامت حضارات وتطورت على ما أتت به الكتب السماوية من معرفة، ومنها الحضارة الإسلامية التي قامت على القرآن الكريم والسنة النبوية

المطهرة حتى أصبحت مصادر معرفة عظيمة وأساليب بحث وعلم واسعة وثقافة منسجمة ومتكاملة من التفكير السوي للإنسان وتقدمه وحث العلماء على البحث والتفكير والعمل والتطبيق والملاحظة، مما أنتج لنا بيئة علمية إسلامية شملت معظم أجزاء المعمورة، ولقد كانت مرحلة تغيير كبير في المجتمع الأول الذي بدأت منه حتى تأسست دولة وحضارة وثقافة ومجتمعاً متقدماً، بدأً بأفضل وأعظم رجل عرفته البشرية وهو الرسول محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ونؤكد على تأثير النوع الأول من مصادر المعرفة وما ترتب عليه من بناء فكري ومفاهيمي على أسس علمية وإيجاد بيئة صالحة تحث على التفكير والاجتهاد والعمل حتى وصلت الحضارة الإسلامية إلى درجة كبيرة من التقدم تزامن معها ذلك التطور الكبير في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتبلورت ثقافة متزامنة مع تقدم علمي وفكري ورقي في أساليب التفكير والبحث، وتكونت المدارس والمذاهب نتيجة غزارة الفكر وتوسع المفاهيم وتواجد البيئة العلمية القوية حتى انتشرت ثقافة ذلك المجتمع الإسلامي ومعارفه وحضارته على مساحة كبيرة جداً من هذه المعمورة، وتطورت العلوم الإنسانية والطبيعية ووضع لكل علم أسس في الطب والفلك والفيزياء والكيمياء والأدب والجغرافيا والتاريخ والصيدلة، ونمت المكتبات الإسلامية في بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها من المدن الإسلامية التي عاشت حضارة مزدهرة حتى نهاية الدولة الإسلامية مع الحرب العالمية الأولى. وقد وصلت أساليب التفكير إلى مستوى عالٍ من حيث طبيعة التفكير المجرد أو الحسي وتطورت المفاهيم المتعلقة بعمليات التفكير أو ما يخص العلوم ومصطلحاتها في مختلف التخصصات الدينية والإنسانية والطبيعية، ويلاحظ أن علماء المسلمين قد تمتعوا بقدر كبير من المعرفة حتى أصبح العالم الواحد موسوعة في أكثر من علم أو تخصص، وتأسست هذه العلوم لتصبح مرحلة مهمة في تاريخ المعرفة الإنسانية استفادت منها الحضارات التي قامت بعدها وتعيش حتى وقتنا الحاضر.

obeikandl.com

والحضارة الغربية التي قامت بعد الحضارة الإسلامية هي حضارة اعتمدت على النوع الثالث من مصادر المعرفة المعتمد على البحث والدراسة والاكتشاف والتجربة، وقد قامت الحضارة الأوروبية من مجتمع كان يعيش على المصدر الثاني من المعرفة لقرون طويلة، وتعمدت سلطاته الدينية على هذا النوع من المعرفة كي لا تفقد سيطرتها على المجتمع حتى قيام ثورات عديدة على هذا النظام والثقافة الجامدة من أهمها الثورة الفرنسية، وقد أوجدت الأخيرة بيئة علمية وأساليب تفكير علمي يعتمد على أسس علمية وبحثية وتجريبية للوصول إلى نتائج علمية أبرزت العديد من النظريات والفلسفات التي أسست لمدارس علمية مختلفة في جميع التخصصات، ومنها المدارس والفلسفات والنظريات التربوية التي تهمنا في هذا الكتاب.

ولم تكن التربية والتعليم غائبة عن التاريخ الثقافي والحضاري الذي تعاقب منذ فترة زمنية طويلة، فقد بين عاقل (١٩٨١)، حمدان (١٩٨٢)، عبدالدائم (١٩٨٤) مجموعة من المدارس التربوية، ومنها المدارس القديمة التي برزت وتهمنا في المجال التربوي والتعليمي مثل المدارس الغيبية والمثالية للفيلسوف الإغريقي أفلاطون، وتتفق هذه المدارس مع مصادر المعرفة الأولى (الرسائل السماوية)، وتركز المدرسة الإفلاطونية على الفكر المثالي المبني على المعرفة والخير والفضيلة والحق، وتصنف العالم إلى روحي حقيقي أما العالم الواقعي (الأرضي) فهو صورة مقربة للعالم الآخر، ويعمل الإنسان ويحاول في الوصول إلى الفضيلة والمعرفة التي لا يستطيع أن يرقى إليها إلا العلماء والحكماء والفلاسفة، وتعتمد هذه الفلسفة على التأمل في التفكير للأشياء المجردة دون الخبرة أو التجربة العملية، وتتدرج هذه الفلسفة عند الإنسان من المعرفة الغامضة في الطفولة إلى المعرفة المحسوسة في فترة الشباب إلى المعرفة الحقيقية المبنية على التأمل والتفكير للوصول إلى المعرفة (المطلقة).

المدرسة الواقعية (الأرضية)، وتركز هذه المدرسة على الأشياء المادية التي لها علاقة أو ارتباط بالواقع الأرضي، ومن أهم فلسفاتها الفلسفة الواقعية التي تركز

على أن الأشياء في العالم ليست إلا حقائق واقعية ومستقلة عن العقل ويعد العقل مظهراً من مظاهر المادة التي تتطور بيولوجياً مع الزمن ليصبح وسيلة للتكيف مع الطبيعة الطارئة والمتغيرة من أجل الكفاح للبقاء، وتقوم هذه الفلسفة على تقديم المعلومات النظرية وعمل التطبيقات اللازمة عليها وتركز على الحقائق البحتة للعلوم. أما الفلسفة الإنسانية العقلية، ورائدها الفيلسوف اليوناني أرسطو فهي تؤكد على إن الإنسان عقلاني بطبعه ولديه القدرة على التغيير والتفكير والتعرف على العالم الذي يعيش فيه، ونتيجة لذلك يتم التركيز على العقل الذي يعد وسيلة وغاية في الوقت نفسه، بينما الفلسفة العضوانية (فلسفة داروين) والتي تقول بأن العقل الإنساني قد تطور عبر الزمن من خلال مروره بعدة أشكال، وهذه الأشكال الحياتية قد تكون ناتجة من المادة أو الطبيعة، وقد أطلق عليها نظرية التطور (Evolution).

المدرسة الفردية، ومن فلسفاتها الفلسفة البرجماتية، وتهتم بكل ما هو عملي ومفيد ومن أشهر روادها المربي الأمريكي جون ديوي ووليم كلباترك، وتهتم برغبات الطلاب وميولهم في التعليم وبناء عمليات التفكير القائمة على العمل والتطبيق والممارسة على الواقع (Learning by Doing)، وتنادي أيضاً بالتجديد والحرية في العملية التعليمية والاندماج في الحياة اليومية ومشكلاتها وقضاياها. أما الفلسفة الوجودية فهي تهتم بالفرد مثل البرجماتية ولكنها تبالغ في منحه حرية الاختيار في التعلم والنمو والإرادة الذاتية التي تحدد طبيعة هذا الإنسان الذي يريده، وتسمى أيضاً بفلسفة الأنا. وتركز الفلسفة الرومانتيكية على الفرد وأهوائه ونزعاته وميوله وحاجاته الفطرية، وكان رائد هذه الفلسفة جان جاك روسو، ويشكل الطالب محور اهتمام هذه الفلسفة، وتعتقد هذه الفلسفة بأن الطفل يولد خيراً وصالحاً وأن أي تغيير لمسار هذا الطفل يعود إلى المجتمع وواقعه وتربيته الاجتماعية.

المدرسة الانتقائية ومن فلسفاتها الفلسفة التجديدية التي تعد التربية وسيلة ثقافية تجدد بواسطتها المجتمع وحياته ومقوماته واحترام التراث الاجتماعي الذي ترى فيه أهمية كبيرة في تربية النشء، أي أن التربية تعد قوة بناء. أما الفلسفة

الواقعية المدرسية فهي مزيج من الفلسفة الواقعية المشار إليها سابقاً والفلسفة الغيبية القائمة على الدين المسيحي، حيث تركز هذه الفلسفة على العقل وعلى القيم الاجتماعية خاصة ما يتعلق بالمبادئ والأخلاق الدينية، وتهتم بتنمية العقل وتعلم الحقائق العالمية الخالدة.

ونجد أن المدارس وفلسفاتها المشار إليها سابقاً قد ركزت من حيث توجهاتها وغاياتها على جوانب مختلفة إما تجاه المعرفة وتحصيلها والغاية منها أو تجاه الفرد ورغباته وميوله أو تجاه المجتمع وما يحمله من مورث وعادات وتقاليد وقيم أو تجاه العقل ومحاولة الرقي به دون غيره أو تجاه الملاحظة والواقع الملموس، بينما الدين الإسلامي أتصف بوضوح الرؤية لدور الإنسان في عبادة الله سبحانه وتعالى والعمل والعيش على هذه الأرض التي أوجدها الله له من أجل عمل الخير والفضيلة والاستفادة مما سخر الله له من إمكانات هائلة على وجه الأرض، فالإنسان المسلم يحمل رسالة واضحة دينية ودنيوية ويعمل من أجلها.

ومن هذا المنطلق فإن عملية البناء الفكري والمفاهيمي عند الإنسان المسلم تعتمد على مسارين، الأول: وهو المسار الديني وفق أحكام ونصوص وقوانين دينية حسب ما جاء به الدين الإسلامي، أما المسار الثاني: فيتعلق بالأمور الدنيوية وما يطلبه الإنسان في حياته من أمور اجتماعية واقتصادية وعلمية وتعليمية وأسرية وغير ذلك من شئون الحياة المختلفة، لكن المسار الثاني يرتبط أيضاً بالمسار الأول، ومن المبادئ المهمة في حياة الإنسان المسلم طبيعة تداخل عمله الديني مع الدنيوي، ويحسن النظر إلى هذين المسارين من خلال ما ورد في الأثر (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً وأعمل لأخرتك كأنك تموت غداً)، وهذا هو المنطلق الفكري الذي يحمل المفهوم الواسع لفلسفة الحياة وما بعدها في ثقافة الإنسان المسلم من خلال التوفيق بين العمل الديني والدنيوي في وقت واحد والحثّ على أسمى مفاهيم العدالة والمساواة ومراعاة الآخر ومساعدته والصدق والجد والاجتهاد وغيرها من المفاهيم العالية التي تحفظ للإنسان حياة كريمة وسامية، وأي اعتلال بين هذين

obeikandl.com

المسارين أو التركيز على واحد دون الآخر فسوف يدخل الفرد في مفاهيم وممارسات قد لا تتفق مع المبادئ التي تضمنتها ثقافة المجتمع الإسلامية المعتدلة وبالتالي خروج بعض التوجهات التي لم يأمر بها أو يحث عليها الدين الإسلامي في جانبيه الديني أو الدنيوي.

ونلاحظ أن الطالب يتعلم العلوم الشرعية ويتفقه فيها ثم يعمل ويمارس هذا المجال أو التخصص ويفيد الآخرين بما تعلمه فضلاً عن الاستفادة الذاتية علمياً واجتماعياً ومادياً، وبهذا العمل فقد جمع طالب العلوم الشرعية بين الدين والدنيا في وقت واحد، وكذلك الطالب في علم الكيمياء أو الرياضيات أو غيرها من العلوم الطبيعية أو النظرية الأخرى فقد تعلم وعمل من أجل العلم الذي حث عليه الدين الإسلامي واستفاد علمياً واجتماعيا ومادياً، وقد تعلم وعمل من أجل دينه ودنياه ومجتمعه، ونتيجة لهذا الرؤية فإن العلم والتعلم والبناء المعرفي يعد مطلباً دينياً ودنيوياً ومن أهم الجوانب التي على أفراد المجتمع القيام بها بحسب قدراتهم في مختلف التخصصات والعلوم النافعة سواء كانت دينية أو دنيوية، وقد رأيت التفصيل قليلاً بين العلوم الدينية البحتة والعلوم الطبيعية/النظرية من باب توضيح التخصص، لكن العلوم التي يتعلمها الإنسان المسلم لابد أن ترتبط من الناحية الفكرية بالبعد الديني الذي يمثل أحد أهم ركائز ثقافة المجتمع السعودي.

وعن الوضع المعرفي والفكري في المجتمع الإسلامي بصفة عامة والمجتمع العربي والسعودي بصفة خاصة والدور الذي يجب أن تقوم به الثقافة تجاه المجتمع وتطوره، فما هو حال المجتمع وواقعه، وهل تتطابق الرؤية النظرية مع الواقع التطبيقي الذي تعيشه هذه المجتمعات؟ لابد من الإشارة إلى أن هناك دول متقدمة ومعظمها في البلاد الغربية أما البلاد العربية فتعد بصفة عامة دولاً نامية وتصنف بدول العالم الثالث، أما لماذا تقع في هذا التصنيف فهذا محور التساؤل، وهل تعود المشكلة إلى ثقافة المجتمع على الرغم مما أوضحته من أن الثقافة في المجتمعات العربية هي ثقافة تحث على العلم والتقدم والتطور، أم أن المشكلة في الفكر

وعمليات التفكير التي يتم العمل بها في المجتمع، أم أن المشكلة أيضاً في المعرفة التي تتأثر بعملية التفكير وأساليبه وتؤثر فيه، أم ماذا؟

أعتقد أن هناك مسلمات وأسباب كثيرة حول هذه التساؤلات، ويتحدد الحديث هنا حول المجتمع السعودي الذي يعيش تحت مظلة ثقافة تعتمد على البعد الديني حتى أصبح العنصر الأساس والفاعل والمؤثر في العناصر الأخرى التي تقوم عليها ثقافة المجتمع السعودي، ويوصف بأنه مجتمع ديني في قيمه وعاداته وتقاليده، أي أن العامل الديني يغلب على ثقافته، وتعتمد عليه الدولة في أنظمتها المختلفة، وقد تأسس المجتمع السعودي الحديث مع تأسيس المملكة العربية السعودية (١٣١٩هـ - ١٩٠٢م) على هذا البعد الديني الذي يعد أهم مقومات ثقافة المجتمع السعودي، فهو مجتمع حديث اكتمل مع توحيد أجزاء المملكة عام ١٣٥١هـ، حيث كان مجتمعاً بدوياً وقبلياً وصل إلى درجة كبيرة من الجهل والأمية إضافة إلى ضعف الموارد البشرية وصعوبة البيئة الصحراوية التي يعيش فيها.

وفي المجال التنموي بصفة عامة والتعليم بصفة خاصة فقد اهتمت قيادة المملكة بهذا الجانب منذ بدايتها ودعمت العلم والتعليم لإيمانها بأنه الخطوة الأولى وذات الأهمية نحو التنمية والتقدم لمجتمع مدني متحضر يجب أن يأخذ بأفضل الأساليب الممكنة من خلال التعليم في جانبيه العام والعالي، وحيث أن المجتمع السعودي يعتمد في بنائه وثقافته على العامل الديني بدرجة كبيرة فقد كانت المدارس الدينية التقليدية منذ مراحل الدولة السعودية الأولى والثانية حتى الثالثة هي النمط المتبع في التعليم من خلال المساجد والكتاتيب، واستمرت هذه المدارس لفترة زمنية طويلة حتى بداية المدارس النظامية في المراحل التعليمة الثلاث (الابتدائية والمتوسطة والثانوية)، وكان العلم الشرعي المصدر الوحيد للمعرفة حتى بداية التعليم النظامي الحديث الذي جمع بين العلوم المختلفة (الشرعية والنظرية والطبيعية)، ورغم قلة الموارد المالية آنذاك إلا أن النظرة من القيادة السياسية نحو التعليم النظامي كانت قوية، وقد ساعد على ذلك لاحقاً نمو الموارد المالية بعد اكتشاف البترول في المملكة، وتجدر بنا الإشارة أن التعليم

obeikandl.com

الجامعي لم يتجاوز حتى الآن أكثر من خمسين عاماً منذ تأسيسه ما عدا جامعة الملك سعود التي أكملت خمسين عاماً هذا العام (١٤٢٧هـ).

ويمارس في المجتمع - إلى حد كبير - نمط التفكير التقليدي المرتبط بالمدارس الفكرية التقليدية السابقة والذي يعتمد على مدرسة النقل بدرجة كبيرة، كما يمارس باب الاجتهاد والقياس في بعض القضايا والموضوعات من فئة محدودة من ذوي العلم الشرعي عندما يتطلب الأمر ذلك سواء من القيادة السياسية أو من المجتمع، ولا تزال المدرسة الدينية التقليدية قائمة حتى وقتنا الحاضر، ولا خلاف في ذلك بحكم هيمنة العامل الديني على المجتمع وثقافته وأنظمته، وهي امتداد للمدرسة القديمة التي بدأت منذ عهد الدولة السعودية الأولى ومؤسس المدرسة الإصلاحية الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى.

وقد حاولت بعض المدارس الفكرية الظهور في المجتمع السعودي، ومنها المدارس الفكرية التي اعتمدت على خبرات وثقافات خارجية في العديد من المجالات مثل الأدب والتربية وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها من المدارس ذات الطابع النظري والاجتماعي، ولكنها تعثرت وأخفقت ولم تستطع مواجهة المدرسة التقليدية القديمة بحكم قوة الأخيرة وارتباطها التاريخي والاجتماعي الذي يمنحها القوة والاستمرارية رغم الظروف والمتغيرات، ولم تلق هذه المدارس القبول أو البيئة التي تساعد على وجودها ضمن نسق المجتمع الثقافي أو التعليمي، وظهرت بعض المحاولات للتوفيق بين هذه المدارس والمدرسة التقليدية ولكن هذه المحاولات كانت في حدود ضيقة جداً، ولم يبرز هناك أي مدارس توفيقية سواء من خلال الجانب الاجتماعي مثل محاولة أصحاب مدرسة الحداثة وما بعدها أو في مجالات محدودة في بعض التخصصات مثل علم النفس وعلم الاجتماع وما تحمله مثل هذه التخصصات من نظريات وفلسفات كثيرة.

أما المدرسة العلمية التطبيقية ذات المجالات العلمية الحديثة في التخصصات العلمية والطبيعية والطبية فقد تأسست مع الجامعات ولاقت قبولاً من المجتمع

بحكم عدم تأثيرها الملحوظ وعلاقتها غير المباشرة بقيم المجتمع ومدرسته الدينية، وقد تم توفير معظم القوى البشرية لهذه المجالات من خلال اكتساب الخبرات من الخارج وعودتها لتعمل في الجامعات والمراكز البحثية، ومن ذلك مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية لتطوير العمل البحثي (التجريبي والتطبيقي) في مجال العلوم والتقنية وغيرها من المجالات الأكاديمية ومراكز البحوث العامة والخاصة التي احتضنت هذه القوى البشرية ولقيت الدعم المادي والمعنوي من الدولة والمجتمع، ومع تطور هذه المدرسة العلمية التطبيقية فقد تم إنجاز العديد من المشروعات الكبيرة والأبحاث العلمية التي كانت على المستوى الفردي والمجتمعي ولقيت الدعم والمساندة من المدارس السابقة دون تقييد يذكر لطبيعة هذه المجالات التي لا تتعارض مع التوجهات العامة للمدرسة التقليدية وتوجهات المجتمع بصفة عامة، ولعله من المفيد ذكره أن تأثير المدرسة التقليدية قد أتسع ليشمل هذه المدرسة الأخيرة من حيث البناء الفكري والاجتماعي والمفاهيمي حتى أصبح بعض رموز المدرسة الأخيرة المدرسة العلمية التطبيقية يضاهي رموز المدرسة التقليدية ليس في العمق الديني ولكن في المجال الثقافي والاجتماعي والقيمي (الوعظي) الذي يؤيده المجتمع ويحبذه.

أما المدرسة النظرية أو الاجتماعية التي تنتمي إلى مجالات وعلوم نظرية مثل الأدب واللغة والتخصصات الاجتماعية فقد عانت كثيراً بفروعها المختلفة ولم تحقق الشيء الكثير في تأسيس أي مدراس أو فلسفات بل كانت هناك محاولات في المجالات البحثية والنشر العلمي المقبول الذي يعتمد غالباً على المستوى الفردي من خلال منهجيات بحثية غالبها وصفية لم تعتمد معظمها في الطرح على مدارس أو نظريات تبني من خلالها أو تطور مدارساً معينة على المستوى الأكاديمي أو البحثي، حيث كانت المدرسة الأولى لها بالمرصاد ولم تسمح لها بالنمو أو النضج في محاولاتها، وقد لاقى أصحاب هذا الفكر والنظريات صعوبات كبيرة لم يتمكنوا من تجاوزها بل أن البعض منهم قد يعد من المحسوبين خارج النطاق الثقافي للمجتمع

بحكم تبني بعض الأفكار والفلسفات والنظريات الخارجة عن محيط البيئة الاجتماعية التي تحدد محيطها في معظم الأحوال المدرسة الدينية التقليدية.

ومع تنوع الخبرات والمعارف والبيئات التي أكتسبها أعضاء هيئة التدريس في مجال التعليم العالي إلا أن المجتمع بطبيعته المحافظة لم يتقبل طرح هذه الفئة الأكاديمية سواء في الجامعات أو خارجها خاصة في المجال المعرفي والاجتماعي والأدبي، ولا تزال مؤسسات التعليم العالي وكذلك التعليم العام والفني وغيرها من المؤسسات التربوية والتعليمة في المجتمع السعودي تعيش تحت ضغط قيم وعادات المجتمع الذي يتخوف كثيراً من التغيير نظراً للفترة الزمنية التي عاشها في السابق كمجتمع محافظ ومنغلق إلى حد كبير حتى عهد قريب، وقد ولّدت البيئة الاجتماعية نوعاً من المحافظة الشديدة والحرص على الموروث دون رغبة واضحة في إحداث أي تغيير من شأنه أن يؤثر على قيم وعادات المجتمع الفرعية (الخصوصيات والبدائل) التي قد لا تتعارض في طبيعتها مع القيم الأساسية (العموميات)، وكانت المدرسة الفكرية التقليدية في المجتمع هي المصدر والناقل الأساس للمعرفة من خلال المرجعية الأساسية (القرآن الكريم والسنة النبوية) والمصادر الأخرى من السلف الصالح، وأصبحت المدرسة التقليدية هي المدرسة الفكرية ذات الأسلوب النقلي غالباً مما أحدث منهجية محددة تتمثل في استقبال ما تمليه هذه المدرسة دون مجال لما نسمع به حديثاً من الحوار والمناقشة بحكم مسلمات ما يأتي من هذه المدرسة من معرفة وفكر وكذلك ثقة المجتمع بمؤسساته وأفراده بهذا المصدر وما يطرحه من معرفة وقيم وأحكام لابد من التقيّد بها كأصل في ثقافة المجتمع وثوابته.

وقد أنعكس تأثير المدرسة التقليدية بصفة كبيرة على المنهجية المتبعة في التعليم في المملكة بصفة عامة وخاصة التعليم العام الذي يعكس بصورة واضحة مفهوم وتوجهات المدرسة التقليدية، وقد نشأت هذه المفاهيم التقليدية في التعليم النظامي وغير النظامي عن طريق تلقي المعرفة من مصادرها البشرية والمكتوبة

Opelkandi.com

استناداً إلى العرف المتبع في التعليم والمدارسة عند المدرسة التقليدية، وهذه الاستراتيجية متبعة منذ فترة زمنية طويلة عندما كان المجتمع بحاجة ماسة للتعليم والقراءة والكتابة، مما جعل المرجعية التقليدية تعد المصدر الأساس للتعليم من خلال الحفظ والتلقين في المساجد والكتاتيب.

وقامت المدارس النظامية بعد ذلك متأثرة بقيم المجتمع وتوجهاته التي يقوم عليها آنذاك، حيث تأصل لدى المجتمع بعد مصدر المعرفة الأول المشار إليه سابقاً بأن من مصادر المعرفة المهمة المعلّم الذي يعد المصدر الثاني في التعليم بحكم الخلفية التقليدية خاصة في المجالات النظرية، ويصبح دور الطالب المتلقي لهذه المعرفة، وقد أستمر هذا الأسلوب والمنهجية التعليمية على هذا المنوال في جميع مراحل التعليم حتى مع وجود خبرات وافدة قد لا تتفق كثيراً مع هذا الوضع أو مع بعض العادات والتقاليد المحلية.

أما التعليم العالي فقد كان وضعه كما أشرت سابقاً يعيش بين مدرسة تقليدية ومدارس/خبرات وافدة، وكانت الأخيرة تعيش مرحلة تطبيق أنظمة وإجراءات وليس منهجيات أو فلسفات، فكما هو معلوم بأن المدرسة التقليدية لا تسمح بهذا النوع من التغيير داخل المجتمع حتى تم العدول عن الأنظمة المستوردة بالنظام التقليدي المتبع في الجامعات والمؤسسات التعليمية التي تطبقه من السابق بحجة خصوصية المجتمع السعودي وقيمه وعاداته التي لا تتناسب معها هذه الأنظمة التعليمية، وهناك مثالان واضحان من الأنظمة التعليمية التي تم التخلص منهما: التعليم الثانوي المطور ونظام الساعات المعتمدة الذي كان يطبق في بعض الجامعات.

وقد أستمر المجتمع السعودي في وضع وانسجام متقارب جداً على الرغم من ظهور بعض التوجهات والمدارس المختلفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية مثل القومية العربية والاشتراكية العربية وغيرها من الأحزاب والتوجهات

obeikandl.com

الحداثية والليبرالية والعلمانية التي تأثرت بها المجتمعات القريبة من المجتمع السعودي، ولم تستطع أن تظهر في المجتمع السعودي هذه الحركات المختلفة بفضل توجه القيادة السياسية المتزن ودور المدرسة التقليدية الدينية حيث تمت المحافظة على توجه المجتمع الذي كان يعيش جواً اجتماعياً محافظاً ومتكاملاً بين مختلف شرائحه ومتمسكاً بأسس وقيم مجتمعه.

ومع إستمرار المدرسة التقليدية في تأدية دورها بصفة جيدة فقد لاح في الأفق بداية الصحوة معتمدة على عدة جوانب ساعدت في بروزها وأولها مباركة المدرسة التقليدية القضايا والمشكلات العربية والإسلامية وفترة الركود الاجتماعي بعد فترة الطفرة الاقتصادية التي مرت بها المملكة ووجود شريحة شبابية كبيرة في المجتمع تحتاج إلى التوجيه والديناميكية في العمل والرغبة في إيجاد نمط جديد أكثر فاعلية وتفاعل من أسلوب المدرسة التقليدية القديمة على الرغم من قوتها وتأثيرها الكبير في المجتمع، كل هذه العوامل وغيرها أوجدت بيئة وفكراً يغلب عليه الطابع العاطفي في خطابه من مجموعة/مجموعات تريد الصدارة في المجتمع ولكنها في أغلب الأحوال تفتقر إلى العمق الديني والفكري حتى أصبح الوضع متمثلاً في دعاة وناصحين وليس في فكر وعمق علمي متأصل من المدرسة التقليدية وروادها، مما أدى إلى توجهات تحمل بعداً عاطفياً أكثر منه فكرياً رسم للمجتمع بعض المفاهيم والقيم الجديدة ذات الصلة بطبيعة الحال بالمدرسة التقليدية والمتوافقة معها من حيث التوجه والمختلفة من حيث الأولويات والاستراتيجيات، مما كون لهذا التيار أو الفرع الجديد من المدرسة التقليدية مساحة كبيرة اكتسحت معظم شرائح المجتمع المثقفة والعادية والأمية والرجال والنساء والشباب، حتى أن بعض الأكاديميين والمعلمين انضموا بقوة واندفاع نحو هذا التيار لأسباب عدة منها الحصول على المكانة في المجتمع والصدارة في الرأي والمشورة والشهرة على حساب المهنة الأم أو العمل الوظيفي، وحرص بعض رواد الصحوة على الوصول إلى ذروة المكانة الاجتماعية وهذا لا يعد صعباً في المجتمع السعودي الذي يقوم على ثقافة دينية

بقيمه وعاداته بالإضافة إلى طلب الأجر والمثوبة من الله سبحانه وتعالى، وهذا جمعٌ بين خاصيتين كل أفراد المجتمع يريدها.

والملاحظ أن التيار الصحوي قد خيم على الجو الثقافي في المجتمع حتى أصبح التيار الأقوى في مختلف مؤسسات التعليم العام والعالي، وكانت القضية مقبولة عند المجتمع بغض النظر عن توجهات بعض أفراده أو فلنقل شرائحه ذات الأفكار الليبرالية أو التوجهات التي لا تتفق مع هذه الحركة الصحوية، فالمحافظة على قيم المجتمع وثوابته يعد أمراً مهماً جداً والتنبيه أو حتى الوصاية من أجل هذه القيم والعادات الإسلامية رسالة مهمة وهدفاً سامياً تجاه المجتمع، وهي بلا شك رسالة الدين الإسلامي الحنيف من أجل المحافظة عليه ونشره ولكن بالصورة التي يراها حراس هذه القيم من الحركة الصحوية، وقد وظف هذا التيار الصحوي مع زيادة مساحته ومكانته وتقبل المجتمع له العديد من الأفراد والمؤسسات والنشاطات المختلفة من المسجد إلى المدرسة إلى المؤسسات الحكومية والفردية إلى المناسبات الاجتماعية والأسرية للعمل على ترسيخ هذا الاتجاه والتيار المحافظي الصحوي، وبرز ما يسمى برموز الصحوة الشابة ذات الحماس والعاطفة والأساليب الإلقائية والأدبية المؤثرة في المجتمع على حساب رواد المدرسة التقليدية، وقد كان لهذا التيار الصحوي التأثير الكبير لكنه في بعض توجهاته بدأ يخرج من التأثير العاطفي الدعوي إلى بعض الاتجاهات الفكرية المتشددة وغيرها من التوجهات ذات البعد الفكري والمفاهيمي في المجتمع.

ولعل الذي يهمنا هنا هو مجال التربية والتعليم (العام والعالي) والعودة إلى هذا الجانب وتأثيره وتأثره بالوضع الفكري والمفاهيمي خلال العقدين الماضيين، حيث كان التعليم يحتوي على شريحة كبيرة جداً من المعلمين والمعلمات والطلاب والطالبات، وهذه الشريحة تمثل بيئة استثمارية كبيرة لهذا التيار الصحوي ونموه، وقد أعتمد هذا التيار على الجانب العاطفي أو الوجداني خاصة وأن أغلب المتلقين من فئة الشباب في التعليم العام والعالي، حيث كان المسجد والمدرسة والجامعة وكل

الأماكن المتاحة متوفرة لرموز هذا التيار ومن لحق بهم من الفئة الشابة المتعلمة وحتى غير المتعلمة، فكما هو معلوم أن التركيز كان ينصب على العاطفة قبل الفكر أو المعرفة، ونتيجة لذلك فكان البناء العاطفي والميول أكثر من البناء الفكري عند معظم رموز هذا التيار، وكان التركيز أيضاً على الجانب الوعظي والدعوى والتوعوي والترغيب والترهيب.

ومن الأمثلة الواضحة في أثناء تلك الفترة الصحوية أن شاباً قد يتحول من وضع ونمط حياة إلى وضع جديد في فترة زمنية قصيرة جداً وهذا التحول بدون شك يدور في المجال الوجداني وليس في الجانب الفكري، فالطالب أو الشاب وهو في بداية العمر من الطبيعي أن نموه الفكري وتوجهاته لم تنضج بعد ولم يتكون لديه البناء الفكري الواضح في ظل إخفاقات المؤسسة التعليمية في بناء هذا الجانب، بالإضافة إلى تطور الجانب الآخر من رموز الصحوة وأتباعهم حيث اتسعت هذه الدائرة الصحوية لتشمل فئات شبابية متحمسة لا تحمل ثقافة مجتمع كبيرة أو أبعاداً فكرية ولا تملك معرفة واسعة دينية أو تخصصية، فالمجال حقيقة يتسع للكثير في ظل المكانة الاجتماعية التي يلقاها الفرد عندما يتصف ببعض خصائص رموز هذا التيار أو الحركة الصحوية ومن هؤلاء شريحة كبيرة من المعلمين بالدرجة الأولى وكذلك المعلمات والطلاب والطالبات.

ويهمنا في هذا الصدد الحديث عن بعض الخطوات التربوية والعلمية في المجال الوجداني (العاطفي) بالذات وكيفية تطويره، حيث يحتاج البناء الوجداني عند الطالب أو الطالبة إلى مجموعة من الخطوات يكتسب المتعلم من خلالها بناء ميوله واتجاهاته واعتقاداته، وتتلخص هذه الخطوات، التي تحدثت عنها أدبيات تربوية كثيرة منها: (حمدان، ١٩٨١؛ توق وعدس، ١٩٨٤؛ سعادة، ١٩٨٤؛ السكران، ١٩٨٩؛ زيتون وزيتون، ١٩٩٥؛ الشهراني، ١٩٩٧، الأكلبي، ٢٠٠٠)، فيما يلي:

- الاستقبال، وهو المستوى الأول وأدنى المستويات في المجال الوجداني، ويعتمد على إثارة الانتباه والاهتمام وإحداث الرغبة تجاه موضوع أو قضية معينة، وعند

تحقيق هذا المستوى فإن المتعلم يتحقق لديه الاهتمام والوعي والرغبة والميول تجاه ما يريده المتحدث (المعلم، الواعظ، الداعية)، ومن الأمثلة في هذا المجال ما يسمى بالتوعية أو العمل التوعوي سواء في المجال الديني أو الاجتماعي أو التعليمي أو غيرها من المجالات.

- الاستجابة، وتعني التفاعل من خلال التقبل والطاعة وتحقق القناعة ثم الرغبة في الممارسة والمشاركة والشعور بالراحة والرضا إزاء هذه الاستجابة، وهذه المرحلة مهمة بعد تكوين الميول في الخطوة الأولى تتم الاستجابة من خلال العمل والمشاركة، وقد لاحظنا ذلك في العمل الصحوي بشكل واضح وتدافع الشباب على العمل الخيري ومتابعة المحاضرات والدروس والمخيمات والرحلات، أما في الجانب التعليمي فلم يتم الاهتمام كثيراً بذلك بكل أسف بل أن بعض المعلمين قد يحول الهدف التعليمي المطلوب منه في خطة الدرس إلى المجال الدعوي مما أحدث قصوراً واضحاً عند الطلاب في تحقيق الأهداف التعليمية بصفة عامة وخاصة التي تعنى بالجانب الوجداني.
- التقدير أو التقييم، ويركز هذا المستوى على القيمة التي يصل إليها المتلقي (المتعلم) من حيث القبول البسيط لقيمة معينة من قيم المجتمع أو توجهاته أو عاداته حتى الرغبة في تطوير القيم والمهارات الاجتماعية، ويوصف هذا المستوى ببناء السلوك الثابت والاتجاهات والاعتقادات، حيث يتدرج الوضع في هذا المستوى عند الفرد من قبول القيمة إلى تفضيلها ثم الالتزام بها، وقد استثمر التيار الصحوي (بقصد أو بغير قصد) هذا المستوى بدرجة كبيرة مما كون العديد من الاتجاهات التي انعكست على سلوك الشباب وتصرفاتهم، أما في المجال التعليمي فلم يتحقق في هذا الجانب المهم ما يمكن ملاحظته أو تقويمه عند الطلاب في التعليم العام بصفة خاصة والتعليم العالي بصفة عامة.
- التنظيم، ويقوم هذا المستوى بدور متقدم حول مراجعة بعض القيم والعادات ودراستها ونقدها وتقديم بعض التصورات والحلول، ويعمل هذا المستوى على

obeikandi.com

بناء نظام أو أنظمة مكونة من قيم وعادات واتجاهات وسلوكيات ضمن ثقافة المجتمع، وقد يقع هذا الدور في حلقة الخصوصيات المتعلقة بتصنيف الثقافة والتي تم الحديث عنها سابقاً، حيث أن مثل هذا التنظيم قد يتحول إلى الحلقة الأولى المهمة (العموميات)، ويمكن توضيح هذا المستوى من حيث الدور الذي قامت به الصحوة وما قدمته من أطروحات ومبادئ تنادي بتقويم (تصحيح) ثقافة المجتمع من خلال الخطب والشريط الإسلامي والشحن العاطفي الذي بدأ يؤثر بدرجة كبيرة على المجتمع حتى أصبحت المدرسة التقليدية تعاني من بعض المواقف عندما بدأ للتيار الصحوي التأثير الكبير والحضور الفاعل والتعاطف من المجتمع في شقه الصحوي المتلقي، وأفراد المجتمع العادي الذي لا ينتمي لهذا لتيار ولكنه يحبذ أعماله، وكذلك شريحة المجتمع المثقف الذي يحسب على التيار (الوسط). ولم يستفد التعليم من هذا المستوى/الجانب الوجداني فكما هو معلوم أن من لديه الحماس الذي يرقى إلى هذا المستوى فإن الحركة الصحوية قد استقطبته بدلاً من التعليم ما عدا ما يتم في التعليم ويجيّر لحساب الحركة الصحوية وليس للتعليم ذاته.

- الاتصاف بالقيمة أو التذويت، وهذا يمثل أعلى مستويات الجانب الوجداني حيث يتصف الفرد الذي يصل إلى هذا المستوى بالخصوصية أو النمطية التي ينفرد بها عن غيره ويصبح مثالاً في المجتمع من خلال سلوكه وتصرفاته والنمط الذي يتّبعه في حياته ويحاول الآخرون الإقتداء به وتقليده، وهذا ما حصل بالفعل في فترة الصحوة عندما برز بعض الرموز وأصبحوا أمثلةً يحاول الآخرون الإقتداء بهم والتحلي بصفاتهم، أما التعليم - وكما هو الحال في المستويات الوجدانية السابقة - فلم يستفد من هذا المجال في العملية التعليمية للعديد من الأسباب التي تعود على المعلمين والمنهج والطرق والأساليب التدريسية المتبعة، وما قد يحدث من تأثير في هذا المستوى فيعود للصحوة ورموزها ومن تبعهم من معلمين أصبحوا أمثلة أخرى للطلبة ومحاولة الإقتداء

بهم حتى أصبح من الطلبة في التعليم العام من ينسب نفسه للفئة الخاصة من رموز الصحوة والتركيز على المجال الصحوي ولو على حساب العملية التعليمية.

ويرتبط المجال الوجداني بصفة عامة بقيم وعادات وتقاليد المجتمع، ويقوم بدور كبير في بناء شخصية الفرد وتكوين ميوله ورغباته واتجاهاته واعتقاداته، ويؤمل منه أن يساعد في تكوين المواطن الصالح، ومما لا شك فيه أن الحركة الصحوية قد أثرت تأثيراً كبيراً في المجتمع السعودي وقيمه وعاداته، حيث أنه من الطبيعي أن تؤثر عقدان من الزمان على فئة الشباب من حيث وميولهم واتجاهاتهم واعتقاداتهم، خاصة وأن الصحوة قد ركزت على المجال العاطفي بالدرجة الأولى دون البناء أو التأثير الفكري، مما جعل المجال الوجداني في مستوياته الأولى يؤثر تأثيراً كبيراً على توجيه الشباب في بيئة دينية محافظة (البيئة السعودية) يتزامن معها طبيعة النظام التعليمي المبنية على أسس دينية، مما أدى إلى توفر الظروف لتحويل العديد من أفراد المجتمع أو تعديل سلوكهم المحافظ المعتدل إلى سلوك عاطفي يتأثر بصورة سريعة من خلال المجال الوجداني/العاطفي.

وقد نتج عن الصحوة وما صاحبها من توافق غير مباشر مع الجانب التعليمي من خلال بعض المعلمين والإداريين في مدارس التعليم العام وكذلك مؤسسات التعليم العالي من إعداد بعض فئات شبابية تحمل طابع الحركة الصحوية وليست المواطنة أو الوطنية، وهذا خلل لم يكتشفه المسئولون عن التعليم، وأصبح الوضع الأممي والاهتمام بالأمة الإسلامية الشأن الأول والأخير دون أي تركيز أو مراعاة للمواطنة والانتماء الوطني مما وضع الرسالة التربوية والتعليمية في مأزق لم يكن واضحاً حتى أحداث الحادي عشر من سبتمبر لعام ٢٠٠١م وما تلاه من أحداث إرهابية محلية من فئات شبابية سعودية ضالة تبنت أفكاراً متشددة (يمكن الرجوع للمستويات الوجدانية وكيف يتم بناء الاتجاهات عند الأفراد) أتضح من خلال الوضع التعليمي (المتردي) خاصة فيما يخص بناء المواطن الصالح والروح الوطنية التي يتطلبها المجتمع السعودي.

obeikandi.com

وكان من الطبيعي أن يخرج من الحركة الصحوية العديد من الاتجاهات نظراً لحجم مساحتها الكبير في المجتمع مما أدى إلى تعدد رموزها واتجاهاتهم وبعض الخلفيات التي يحملونها وسبب في ظهور العديد من الاتجاهات التي قادها بعض هؤلاء الرموز حتى أصبح لدينا العديد من هذه الاتجاهات التي يحمل بعضها التشدد والغلو.... وقد أثر الطرح الصحوي على القيم والعادات والتقاليد وحتى بعض المفاهيم الدينية حيث أدى البعد الصحوي إلى غرس مفهوم الأممية عند بعض فئات المجتمع بدلاً من الوطنية مما جعل المفهوم الوطني يعيش بعضاً من أزمة الانتماء حتى مع وجود مادة مستقلة في التعليم العام لغرس القيم والمبادئ الوطنية، ولم يستطع التيار النخبوي الوطني مواجهة التيار الصحوي سواء في التعليم أو المجتمع بصفة عامة، وقد ساعد على تطوير التغيير المفاهيمي المتزامن مع التأثير الصحوي ضعف البنية الفكرية الاجتماعية التي اختار معظم أفرادها الحركة الصحوية كمبادئ جديدة في التعامل الأسري والاجتماعي، أما على المستوى المؤسسي فقد أشرت على سبيل المثال من خلال عرض مستويات المجال الوجداني عدم استفادة التعليم من هذا المجال الوجداني وأصبحت الفائدة مستثمرة لصالح الحركة الصحوية في ظل تأخر نمو البعد المعرفي وأساليب التفكير العلمية التي يستطيع الفرد (الطالب) تحديد الأهم والأولى والأصلح دون الانجراف وراء بعض الاتجاهات التي لا تتفق مع عموميات ثقافة المجتمع وبعض طرح الحركة الصحوية المتشدد.

وكانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما تلاها من أحداث إرهابية في المملكة العربية السعودية منعطفاً جديداً ومرحلة تقويم ومراجعة في المجتمع السعودي من القيادة السياسية ومؤسسات وأفراد المجتمع حول الوضع الثقافي المتضمن القيم والاتجاهات والعادات والتقاليد وما لحق بها من تغيير وتطوير في مرحلة الصحوة وما تأثر به الانتماء الوطني في ظل الشعارات والتيارات التي عاشت تحت مظلة الحركة الصحوية، ويبدو أن المدرسة التقليدية وهي صاحبة التأثير الاجتماعي بدأت تمارس المهام المنوطة بها في إصلاح العديد من المفاهيم

obeikandl.com

والأفكار المتطرفة مثل الغلو والتكفير والتشدد وما نتج عنها من أحداث إرهابية، وهذه الخطوات متزامنة مع توجه ودعم القيادة السياسية والمجتمع، ومن المؤمل أن ينمو التيار الإسلامي الوسط أو المعتدل من خلال البعد الفكري الصحيح بدلاً من العاطفي لوحده الذي قد يحدث الأخير بعض الأخطاء المستقبلية ونمو بعض الاتجاهات والتيارات التي تعدله عن مساره الصحيح في حالة عدم بناء الجانب الفكري والمفاهيمي وتطويره.

وسوف يتم الحديث وطرح بعض الرؤى المستقبلية والطموحة حول التعليم من خلال الفصل القادم إن شاء الله، بيد أن الإصلاح في صورته العمومية/الوطنية لابد أن يصب أولاً وأخيراً في مصلحة الوطن وهذا مشروع متعدد المجالات (سياسي واجتماعي ووطني واقتصادي وثقافي وتعليمي)، وأعتقد أن على التعليم العام والعالي مسئولية كبيرة في تعديل وتطوير رسالته من خلال إعداد المواطن الصالح بثقافته الإسلامية والعربية والسعودية وهذه المفاهيم الثلاثة لا تتعارض مع الثوابت والقيم الدينية التي تصب في مصلحة الوطن والمواطن، وقد يكون هناك من الأمثلة العالمية التي لو أمعنا النظر فيها لأفادتنا كثيراً، ومنها عملية التعامل مع العولمة من حيث الأخذ بمبدأ التفكير عالمياً والعمل محلياً، وبهذا نستطيع أن نحقق الوطنية من خلال العمل لمصلحة الوطن والأممية لمن لا يزال يرغب فيها من خلال سعة الأفق والتعامل مع هذه المتغيرات العالمية سواء القريب منها أو البعيد وفق منهجاً فكرياً يعتمد على مفاهيم فكرية مدروسة وراسخة تصب أولاً في مصلحة المجتمع السعودي بوطنيته ومواطنته ثم النظر في وضع الآخر والدور الذي تقدمه القيادة السياسية والمجتمع معاً نحو المجتمعات العربية والإسلامية ثم العالمية.